 الأصنام 

نحن نقول إننا فى عصر العلم وإننا خلفنا الجاهلية وراءنا بأصنامها وأوثانها .. ولم يعد هناك من يعبد اللات والعزى وهبل ولا من يسجد لبعل .. انتهى الشرك إلى غير رجعة .

ولكنى أقول بل نحن عبدة أوثان نسجد ونركع ونحرق البخور ونرتل التسابيح والابتهالات فى كل لحظة لأصنام لا حصر لها .

نحن فى الجاهلية بعينها ولو تكلمنا بلغة الإلكترونات .. ولو مشينا على تراب القمر .

إنما اختلفت أسماء الأصنام .. واختلفت صورها ونوعياتها .. وتسترت تحت ثياب الألفة .. ولكنها هى الأصنام بعينها .

ماذا يكون جسد المرأة العارى اليوم .. وهل هو إلا صنم رفعناه إلى

مرتبة الإله المعبود المعشوق المرتجى .

لقد أصبحت صورة الجسم العارى ماركة مسجلة نروج بها أى بضاعة .

صورة المرأة العارية هى تعويذة التاجر التى يرسمها على إعلانات السجائر ، وإعلانات الخمور والصابون والبيرة والكاميرات والساعات والحراير والأقمشة حتى أدوية الزكام وشفرات الحلاقة ومعاجين الأسنان .

وهى عامل مشترك فى كل أفيشات السينما والمسرح . وهى على أغلفة المجلات وعلى كروت المعايدة وفى جميع الفاترينات بمناسبة وبدون مناسبة .

وهى على علب الشيكولاتة وعلب البونبون وزجاجات العطر ، ونجدها بدون سبب فى إعلان لتروس الماكينات .

ونفاجأ بها فى إعلان سيارات تفتح لنا الباب ، وفى طائرات س م ع تقدم لنا طبقًا من الجاتوه مع ابتسامة . وإلى جانب مطحنة بن تقدم لنا فنجانًا من القهوة .. بل فى إعلان عن أسياخ الحديد الصلب تدعونا لنبنى بيتنا الجديد .. وهى دائمًا عارية أو نصف عارية أو بالمايوه وعدسة الكاميرا مركزة على النهر بين الثديين .

وكأنما لا وسيلة لجذب الانتباه إلا باستخدام هذا المعبود الجديد .. ولا طريقة لشد العين إلا بالتلويح بهذا الوثن .

إنه الذكر والابتهال والتسبيح العصرى ، تسفح فيه الدموع وتنشد الأشعار وترتل المزامير والأغانى والرباعيات والسباعيات ، وتؤلف المسلسلات والحلقات كل حلقة تشحذ الذهن وتثير شهية المستمع والمتفرج لرؤية اللحظة الفاصلة .. لحظة تخلع البطلة عذارها وتلقى ثيابها وتكشف عن المعبود المنشود .

أما الصنم الثانى أو لعله المعبد أو الكاتدرائية العظمى أو الكعبة أو جبل الأولمب الذى يتجمع فيه حشد الآلهة العصرية ، فهو فاترينة البضائع الاستهلاكية التى تتحلق حولها العيون مشدوهة مبهورة مسبحة ، تكاد تركع للثلاجة والريكوردر والتليفزيون والساعة الذهبية والسوار الماسى . والابن يقتل أباه والأخ يسرق أخاه ، والموظف يختلس والصانع يغش والصراف يزور ، والمزيف يزيف فى سبيل هذه الفاترينة الوهاجة .. فاترينة الأحلام .. الكل يتهجدون ويسهرون الليل يصلون لها .. وكل شيء يفنى ما عدا وجهها ذى الجلال والإكرام المضاء دائماً بالنيون والفلورسنت فى حى المال والتجارة من كل مدينة .

أما الصنم الثالث فهو الهيكل .. هيكل الفكرة المجردة والنظرية والمذهب السياسى الذى يركع فيه المريد المتعصب . لا يرى حقًّا إلا ماتقوله بنود نظريته ، ولا يرى صدقًا إلا ما يأمر به مذهبه ، فإذا سمع من يتكلم عن مذهب آخر فهو خائن مارق فاسق يستحق أن يحرق حيًّا .. وهو يعيش بفكر مقلوب ومنطق معكوس ، فالإنسان عنده

يجب أن يوضع فى خدمة النظرية لا النظرية فى خدمة الإنسان.

وهذا هو عابد الصنم الأجوف المجرد وعابد قصاصات الورق والشعارات الطنانة الكاذبة .. وهو أحد مجانين هذا الزمان.

وصنم آخر شائع هو الدكتاتور والحاكم المطلق والطاغية المستبد الجالس على عرش السلطة ، ومن حوله بلاط الهتافين والمصفقين وحملة المباخر والمجامر والمسبحين بالحمد ، والمنافقين والكذابين وقارعى الطبول ونافخى الأبواق . ترفه الأناشيد والأهازيج فى كل مكان .. ويلقن الأطفال فى مدارسهم .. إنه الرزاق سبحانه والمنقذ والمعين الذى يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ويكسوهم من عرى ، وإن عليهم أن يتوجهوا إليه بالتسبيح والتحميد كل صباح .. وإن عليهم أن يحفظوا كلماته ويعوا وصاياه ويلتمسوا رضاه.

وربما كان أشيع أصنام هذا العصر وأكثرها انتشاراً هو صنم « الذات » .. عبادة النفس .. واتباع الهوى.

المرأة التى تعبد جمالها . . والرجل الذى يعبد أناقته . . والممثل الذى يفتتن بشهرته . والفنان العابد لفنه .. والبطل المبهور ببطولته .. والمتحدث اللبق الذكى المعجب بنفسه وبذكائه . ونجم السهرة المزهو بشخصيته .. وصاحب الملايين الفرحان بملايينه.

والمال فى أكثر الأحوال وفى هذا العصر المادى صنم فى ذاته تقدم له القرابين من دم الجميع.

وقد يختفى صنم « الذات » وراء صنم أكبر هو « العصبية » للعائلة أو القبيلة أو الطائفة أو العرق أو العنصر أو الملة وكلها أصنام .. وكلها عبوديات .. وكلها شرك .

وعابد الله لا يكون عبدًا لله إلا إذا تحرر منها جميعًا وأسلم قلبه ووجهه خالصًا من جميع الشواغل والعلائق والتبعيات والمنازعات .

القلب لله « بلا منازع » .. هذا هو الدين .

أما ما نحن فيه فهو جاهلية .. جاهلية العلم .. التى جاءت بأصنامها الجديدة ، ونصبت أوثانها العصرية ، وأقامتها مكان اللات والعزى وهبل وبعل ، وأقامت لها الهياكل ووظفت لها السدنة والكهان وقدرت لها النذور والقرابين .

ولو أننا جلسنا إلى أنفسنا وصارحنا أنفسنا فى لحظة صدق لوجد أكثرنا نفسه فى إحدى خانات عباد الأصنام يسبح دون أن يدرى لوثن من تلك الأوثان الخفية التى أقامها عصر المادة فى قلوب الناس .